د. فايزة صالح سجيني *

ثورة القسطنطينية الشعبية عام٦٠٢ م

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

"يا للأسى أن ترى مدينة الوئام والوفاق تتحول إلي بحر من الخلافات،.. وكما أن النار الكامنة تحت كوم من الهشيم لا تحتاج إلا لنفخة لتتحول إلى آتون يحرق كل ما حوله، هكذا كانت المدينة التي ربض فيها الشيطان، لم يعوزها إلا من يشعل الفتنة فتحترق وتتحول إلي هشيم"(١).

تلك كلمات رثاء جاءت على لسان كاتب سيرة القديس السالونيكي ديمتريوس St. Demitrius of Thessaloike أخذ يرثي بها مدينة القسطنطينية وما حل بها من فتنة داخلية وحرب أهلية أنتجت في النهاية ثورة القسطنطينية الشعبية عام ٦٠٢م التي أنهت عصر الإمبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢م) وأذنت بميلاد عصر جديد هو عصر الإمبراطور فوقاس (٦٠٢-٦١٠). ويهدف البحث الحالي إلي عرض تفاصيل هذه الثورة وما صاحبها من عنف ودموية ظاهرة، خاصة وأن أهميتها تكمن في كونها الثورة الأولى التي تنجح في الإطاحة بالجالس

* أستاذ مساعد – جامعة الملك عبد العزيز – جدة

على العرش البيزنطي. كما يهدف إلي تسليط الضوء على رد الفعل الشعبي، كما عكسته المصادر التاريخية البيزنطية، تجاه سقوط الإمبراطور موريس واعتلاء فوقاس العرش.

لاشك في أن سوء قدر موريس جعله يرتقي العرش البيزنطي بعد فترة عصيبة من تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، فقد ورث عن جستنيان وخلفائه إمبراطورية مثقلة بالهموم بعد استنزاف طاقاتها المالية والبشرية طيلة سبعين عاما منصرمة. فذلك الصرح الذي سعى جستنيان جاهدا، ومضحيا بكل طاقات الإمبراطورية، في سبيل إقامته[٢]؛ وهذه المحاولات المضنية من قبل خلفائه لإنقاذ الإمبراطورية، رغم تفاوت درجات نجاحها وفشلها.[٣] ولا شك أيضا في أن الحروب المتواصلة التي لم تغب عن سماء الإمبراطورية طيلة سبعين عاما؛ هذا فضلا عن تلك الأموال الطائلة التي دفعتها بيزنطة صاغرة لتكاليف الحرب والسلام مع القبائل الجرمانية في الغرب والخطر الفارسي في الشرق واجتياح القبائل السلافية والآفارية لشبه جزيرة البلقان شمالا.[٤] كل هذه الأعباء المالية شكلت ضغطا شديدا على خزانة الإمبراطورية، وأنتجت من ناحية أخرى فسادا إداريا واضطرابا في السياسات المالية للإمبراطورية.

بالإضافة إلي ذلك كانت هناك حالة من الاستياء العام تجاه السياسات المالية والفساد الإداري، الذي نتج عنه ظهور عصبة من الموظفين المرتشين وجامعي الضرائب المتعسفين الذين شكلوا عبئا ثقيلا على سكان الإمبراطورية من المزارعين والتجار والصناع. ساهم في تقويته استمرار الصراع المذهبي بين الإمبراطورية وسكان الولايات الشرقية. كما مثلت الزلازل والأوبئة والطواعين، التي كان نصيب الإمبراطورية منها كبيرا خلال هذه الفترة الحرجة، عاملا إضافيا زاد من حدة السخط الشعبي الذي بات مؤهلا للانفجار في آية لحظة في وجه حكومته التي أظهرت عجزا واضحا في التعامل مع المشكلات والأزمات المتتالية، والأهم في توفير قدر من الأمن لمواطنيها.[٥]

وجاء موريس ليرتقي عرش إمبراطورية مثقلة بالمشكلات، ورغم ما تمتع به من ميول إصلاحية ورغبة في التغيير، إلا أن اهتمامه الإصلاحي انصب على الجيش والإدارة العسكرية[٦] دون أن يواكب ذلك إصلاح مالي واقتصادي، أو بعبارة أخرى دون محاولة السعي لإيجاد مصادر جديدة للدخل تعوض عجز موارد الدولة وإفلاس الخزانة. وسرعان ما اضطر موريس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما كثرة نفقاته العسكرية إلي تخفيف العبء عن الخزانة الإمبراطورية باقتطاع نسبة الربع من مرتبات الجند في عام ٥٨٧م، الأمر الذي أنتج سخط واستياء عارم بين صفوفهم، ولجأ الكثيرون منهم إلى ترك الجندية واللجوء إلي الأديرة والكنائس، مما دفع موريس إلي إصدار مرسوم يحظر فيه قبول الكنائس والأديرة للجنود الفرين، ومن تقليدهم وظائف دينية، مما أدى إلي تصادم البابا جريجوري الأول معه، حيث احتج البابا بشدة على قرار الإمبراطور، ورغم أن هذا القرار لم يدخل حيز التنفيذ، إلا أنه زاد من رصيد الاستياء ضد موريس، وأضاف فئة رجال الدين إلي جانب الجنود في هذا الأمر.(٧)

على أن المصادر التاريخية البيزنطية تشير إلي أن السخط الشعبي العارم ضد موريس كان بسبب قيام خاقان الآفار عام ٦٠٠م بذبح اثنى عشر ألف أسير من الجنود البيزنطيين سبق أسرهم أثناء حروبه مع الإمبراطورية في جبهة البلقان، وقد أرسل الخاقان سفارة تعرض إطلاق سراحهم مقابل قطعة ذهبية لكل جندي، فرفض موريس خلو الخزانة من هذه الأموال، فخفضها الخاقان إلي نصف قطعة ذهب للجندي، غير أن موريس أصر على الرفض بالرغم من تدخل أعضاء مجلس السناتو لإقناعه بقبول دفع الفدية، وعندئذ عرض الخاقان على موريس إطلاق سراح الجندي بأربعة قراريط(٨)، لكن الأخير رفض للمرة الثالثة، وهنا ثار غضب الخاقان وأمر بقتل كافة الأسرى البيزنطين دون رحمة.(٩)

وتشير الحولية الفصحية Choronicon Paschale إلي أن اعتلاء فوقاس العرش تم دون مقاومة ووسط ترحيب شعبي كبير، ويبدو أن هذا الترحيب برره الأحداث السابقة على اعتلاء فوقاس العرش، فبعيد عن الحسابات السياسية والمصالح الشخصية وتنافس الأحزاب السياسية-الخضر والزرق- نجد على المستوي الشعبي نوعا من الاستياء تجاه تصرفات موريس في أواخر أيامه. وفي هذا الصدد تشير المصادر البيزنطية إلي أن العامل الأساسي في إثارة هذا الاستياء هو رفض موريس دفع المال لفداء الأسرى البيزنطين لدى خاقان الآفار، فيذكر نيقفور كاليستوس Nicephoros Kallistus أنه عندما "اجتاح الخاقان مقدونيا وأسر عددا لا يحصى من الجنود، وأصبح على مقربة من القسطنطينية، طلب فدية عن كل فرد جنيه ذهب. ولما استثقل موريس هذا الطلب ومنعه بخله من تلبيته، استشاط الرجل غيظا وقتل آلافا بحد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السيف. ... فكرهه جميع الناس وغضبوا عليه وراحوا يكيلون الشتائم له بسبب مصرع هـذا العدد الهائل من الأسرى". [١٠] كذلك يشير حنا زوناراس Ioannis Zonaras إلي أن رفض موريس دفع فدية الأسرى جعله "مكروها من الجميع"[١١].

وقد عبر ثيوفانيس عن رد الفعل الشعبي المستاء من تصرف موريس، بأن روى قصة شخص بارز ممن ارتدى مسوح الرهبان استل سيفا وراح يجوب شوارع القسطنطينيةن من الميدان إلي البوابة الذهبية، وهو يهتف أمام الجميع معلنا بأن موت الإمبراطور قد بات وشيكا وأنه سيقتل بالسيف. كذلك يذكر ثيوفانيس أن موكب موريس كان يسير في ضاحية Karpianos متجها إلي كنيسة يوحنا المعمدان للصلاة، فهاجمه حشد من العامة وقذفوه بالحجارة، وكاد الإمبراطور أن يصاب لولا أن ابنه ثيودوسيوس دفع عنه الأذى بجسده، الأمر الذي جعلهما مضطرين إلي العودة للقصر وأداء الصلاة به. أما العامة فقد أتوا بشخص يشبه موريس في هيئته وألبسوه عباءة سوداء وتاجا من الثوم وأجلسوه على حمار وراحوا يطوفون به في شوارع القسطنطينية على ضوء المشاعل، وهم يسبون موريس بأفظع الشتائم ويطلقون صيحات السخرية وهم يقولون: "انظروا موريس، انظروا كيف بدا". وبالطبع لم يترك موريس الحدث يمر دون عقاب حيث أمر بالقبض عليهم، وتم معاقبة الكثيرين منهم.[١٢]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولاشك في أن قتل هذا العدد الضخم من الجنود على يد خاقان الآفار أثار استياءً موازيا بين جنود وضباط الجيش البيزنطي، الذين حملوا هم أيضا إمبراطورهم مسئولية ما حل بهم، وزاد من حدة هذا الاستياء أنهم رأوا أن قائدهم كومنتيولوس Komentiolus لم يحسن إدارة المعركة مع الأفار وعرضه لهزيمة ساحقة نتج عنها قتل الآلاف منهم، وفرار كومنتيولوس نفسه أثناء المعركة تاركا إياهم يواجهون نفس المصير. الأمر الذي دفع الجيش إلي إرسال وفد منهم إلي موريس للقصاص من قائدهم بتهمة الخيانة، وكان قائد المائة الاستراتيجوس فوقاس أحد أعضاء هذا الوفد. ويبدو أن النقاش احتد بين فوقاس والإمبراطور إلي حد أن اضطر أحد أعضاء مجلس السناتو إلي التدخل بتعنيف فوقاس وإلزامه بأدب الحوار مع الإمبراطور[١٣]. وقد كانت تلك هي المرة الأولى التي يظهر فيها فوقاس على مسرح الساحة السياسية، ويبدو أن احتداده في حضرة الإمبراطور أكسبه شعبية بين أفراد الجيش المتذمرين من موريس، وجعلهم

يشعرون بأن فوقاس يمثلهم، أو على أقل تقدير يعبر عن آرائهم ومشاعرهم. ويبدو أن المحاكمة الصورية التي شكلها الإمبراطور لمحاكمة كومنتيولوس، والتي لم تسفر عن إدانة واضحة له لفراره من أرض المعركة، زادت من حدة الاستياء ضد موريس، الذي ظهر في أعينهم منحازا إلي جانب الخائن كومنتيولوس.[١٤]

وزاد من حدة استياء الجيش من تصرفات موريس، أنه عين شقيقه بطرس Petros قائدا للجيش الإمبراطوري في الغرب، بما فيها جبهة الدانوب، وعين كومنتيولوس رئيسا لفرق الحرس الإمبراطوري المسئولة عن حراسة أسوار القسطنطينية بما في ذلك القصر الإمبراطوري نفسه.[١٥] وكما يذكر نورويش Norwich "أدى تحيز موريس لأقاربه أن عهد إليهم بوظائف تفوق حدود إمكانياتهم، مما جعله يضع على رأس جهازه الإداري رجال أقل كفاءة"[١٦]. ولا شك في أن أيا من بطرس أو سلفه كومنتيولوس لم ينل شعبية أو محبة بين أفراد الجيش. وساءهم أكثر إصرار موريس على تنصيب هؤلاء قادة للجيش، فبطرس عين مرتين رئيسا لجيش الدانوب، المرة الأولى في عام ٥٩٩م ثم سرعان ما عزل عندما ظهر عجزه عن إحراز أي تقدم يذكر على هذه الجبهة. لكن موريس لم يلبث أن أعاده للقيادة ثانية عام ٦٠٢م.[١٧] ومن ناحية أخرى لم يكن بطرس على نفس شاكلة قائد مثل بريسكوس Priscus، قائد جيش الدانوب (٥٨٨-٥٩٨م)، وهو القائد الكفء الذي عرف بحب الجند له وبحسن تصرفه، والذى ظهر عندما ثار الجيش على قرار الإمبراطور بأن يقضي فصل الشتاء على حدود العدو، فقام بريسكوس بتهدئة الجند، واستطاع إقناع الإمبراطور بخطورة تنفيذ هذا الأمر، مما دفع مُوريس إلي العدول عن قراره.[١٨]

ويبدو أن موريس لم يستفد من تجاربه السابقة، ولم يدرك طبيعة التذمر الذي يملأ صدور أفراد جيشه، حيث أصدر أمرا للجيش المرابط على حدود الدانوب بقضاء شتاء عام ٦٠٢م على الجبهة، وهنا تكرر رفض الجنود للأمر، ولكنهم هذه المرة أرسلوا وفدا، كان فوقاس قائد المائة أحد أعضائه، إلى بطرس قائد الجبهة، وأبلغوه رغبة الجنود في قضاء الشتاء مع ذويهم. غير أن بطرس رفض طلبهم وأعلن إصراره على تنفيذ مشيئة الإمبراطور.. فما كان من الجنود إلا أن أعلنوا الثورة ورفعوا فوقاس على التروس، وأعلنوه قائدا عليهم، الأمر الذي دفع بطرس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إلي مغادرة ساحة التمرد والإسراع بالعودة إلي القسطنطينية لينهي إلي الإمبراطور خبر تمرد جيش الدانوب.[١٩]

وبما أن أمر موريس بأن يقضي جيش الدانوب فصل الشتاء على الجبهة هو السبب المباشر والشرارة التي أشعلت نيران الثورة، فلابد من معرفة المبررات والاعتبارات العسكرية التي دفعت موريس إلي إصدار هذا الأمر. وأحد هذه الاعتبارات ذكرها موريس في مؤلفه العسكري "الاستيراتيجون"، إذ يذكر أنه من خلال خبرته الطويلة بقبائل الأفار والسلاف لاحظ أنها تلجأ في حروبها خلال الصيف إلي الاختباء وراء الأشجار الكثيفة، ومن ثم يصعب على الجيوش البيزنطية كشفهم أو النيل منهم، بينما يتيح لهم هذا الاختفاء مزية إطلاق سهامهم السامة على أعدائهم وإلحاق خسائر كبيرة بين جنودهم، أما في فصل الشتاء فإن الصقيع والثلوج والأشجار الجرداء تجعل من اليسير تعقب آثرهم.[٢٠] كذلك يرى برونينج Browning أن العامل العسكري والتكتيكي كان له اعتبارا في قرار موريس، حيث كانت الحالة على جبهة الدانوب في تحسن مستمر، خاصة بعد أن عقد موريس معاهدة صلح مع الفرس عام ٥٩١م، وبالتالي أصبح جل اهتمامه موجها لجبهة الدانوب بعد أن آمن حدوده الشرقية.[٢١]

ويبدو أن الجيش، المتذمر أصلا من موريس، لم يعر اهتماما لأية اعتبارات عسكرية قد يكون الإمبراطور قد رعاها عند إصداره هذا القرار، ورأى فقط أن دافع هذا القرار هو رغبة موريس في توفير نفقات عودتهم ومؤنهم. وكما يذكر ثيوفلاكت ثيموقطا Theophylact Simocatta أن رفض الجنود الأمر جاء بسبب "الغنائم ذاتها، وإنهاك الخيل الشديد، وحشود البرابرة التي تعسكر قبالتهم".[٢٢] يرى هيجينز Higgins أن الجنود شعروا بأن الإمبراطور يضحي بهم في أرض العدو، ويجعلهم عرضة للهجوم والقتل في أي وقت، وهلاك جيادهم في البرد القارس، وأن ذلك دفعه إلي الاعتقاد بأن حرص موريس على المؤن والنفقات كان أكثر من حرصه على سلامتهم الشخصية[٢٣]. بينما يذهب نورويش Norwich إلي أن سبب رفض الجنود أنهم ظلوا يحاربون مدة ثماني شهور متواصلة على جبهة الدانوب، وبالتالي فقد بلغ منهم الإجهاد البدني والذهني مبلغه. ولأنهم كانوا يدركون أن الغنائم التي أحرزوها لن يصبح لها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قيمة إلا بعد بيعها في الأسواق، وبالتالي فإن بقائهم طيلة الشتاء قد يتلف جانبًا كبيرًا من هذه الغنائم، أو على أقل التقديرات سيبخس من قيمتها ويؤخر حصولهم على قيمتها المالية.(٢٤)

على أية حال؛ كان تمرد الجند على قرار موريس بداية لثورة حقيقية اجتاحت العاصمة الإمبراطورية تستهدف الإطاحة بشخص الإمبراطور ذاته، ولاشك في أن هذه الأحداث كانت تمثل لقائد المائة الاستراتيجوس فوقاس فرصة ذهبية لتحقيق طموحه بالقفز على العرش الإمبراطوري، ولذلك أخذ منذ اللحظة الأولى لتمرد جيش الدانوب يطرق على الحديد وهو ساخن، وراح يخطب في الجند محذرا إياهم من طاعة هذا الإمبراطور الذي أدى بضعفه وتراخيه في حكم البلاد إلي تشجيع العدو وإغرائه بالوثوب على ولايات الإمبراطورية، وأخذ يحثهم بأنه بات على عاتقهم تغيير هذا الوضع وإصلاح التلف الذي حل بإمبراطوريتهم. وقد لاقت عبارات فوقاس الثورية صدى لدى نفوس امتلأت بالعداء والكراهية لموريس، ومن ثم كانوا مؤهلين تماما للثورة.(٢٥)

وبمجرد أن علم موريس من أخيه بطرس نبأ ثورة جيش الدانوب، أسرع باستدعاء رئيسا حزبي الزرق والخضر ليستعلم منهما عن عدد أفراد كل حزب، فقدم سرجيوس Sergius زعيم حزب الخضر لائحة تضم ألفا وخمسمائة عضو، أما كوزماس Kosmas رئيس الزرق فقد قدم قائمة تضم تسعمائة عضو، فأسند إليهم موريس مهمة حراسة العاصمة، أما الأسوار فقد عهد بحراستها إلي القائد كومنتيولوس وجنده.(٢٦) كذلك سعى موريس إلي محاولة تهدئة الجيش الثائر، الذي اتخذ طريق إلي القسطنطينية لخلعه، فأرسل وفدا لاستمالته، غير أن فوقاس رفض التفاوض مع الوفد، وأرسل من جانبه رسالة إلي ثيودوسيوس الابن الأكبر لموريس يعرض عليه عليه أن يتسلم مقاليد الحكم أو يسلمها إلي صهره جرمانوس Germanus.(٢٧)

ويرى نورمان بيز Norman Baynes أن رسالة فوقاس إلي ثيودوسيوس تدل على أنه لم يرغب في تغيير نظام الحكم برمته ، وأن ثورته كانت موجهة ضد شخص موريس وليست إلى أسرته.(٢٨) غير أن رسالة فوقاس ربما كانت تهدف إلي إيقاع الفرقة بين أفراد العائلة الإمبراطورية، وهذا ما حدث بالفعل، فقد تلقى ثيودوسيوس الرسالة أثناء وجوده في رحلة صيد بكاليكراتيا Kallicrateia، ولذلك بمجرد أن علم موريس بأمر رسالة فوقاس إليه حتى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمر باستدعائه على الفور. كما أمر باستدعاء جرمانوس إلي بلاطه صبيحة يوم ٢٣ نوفمبر، واتهمه بالتحريض على هذا التمرد، وعبثا حاول جرمانوس درء الاتهام عن نفسه، لكن موريس أنهى المقابلة بقوله: "دعك من الثرثرة يا جرمانوس، ما أطيب الموت بحد السيف"، فأدرك جرمانوس الخطر المحدق به فلجأ إلي كنيسة العذراء، وعندما حاولت قوات موريس إخراجه منها بالقوة، نجح في الفرار إلي كنيسة آيا صوفيا، وعندما حاصرها الجند، ثار عامة القسطنطينية وتجمهروا في ساحة الكنيسة وهم يسبون موريس ويصفونه بأقبح الصفات.[٢٩] على أن موقف موريس من جرمانوس هو العامل الأساسي الذى أثار العامة، بل يمكن اعتباره الشرارة التي فجرت غضبهم، فبالإضافة إلي سياسة موريس الاقتصادية، وموقفه من الأسرى البيزنطيين، أوجدت معاركه التي استمرت نحو عشرين عاما مع الفرس والسلاف والأفار مشكلات مجتمعية كاليتم والترمل والفقر.[٣٠]

ويبدو أن رد فعل موريس تجاه جرمانوس كان خطأً سياسيا فادحا في ظل ظروف عصيبة، إذ أن موقف العامة أثناء حصار الجنود لكنيسة آيا صوفيا أتاح الفرصة لاندلاع الفوضى وتزايدها بدرجة بات موريس عاجزا عن السيطرة عليها، ومن ثم وجد نفسه محاصرا من كافة الجهات، فجيش الدانوب يحاصر القسطنطينية من الخارج فى مسعى جاد لعزله، والعامة في الداخل باتوا قاب قوسين أو أدنى من الثورة العارمة. وزاد من تفاقم الأوضاع ترك حزبي الزرق والخضر مهمة حراسة المدينة وانضمامهم للثوار، بحيث راح الجميع يحرقون ويخربون مباني العاصمة.[٣١]

وقد دل إحراق العامة لمنزل قسطنطين لاردوس Constantine Lardos ، الوالي البرايتوري للعاصمة، والذي عينه موريس من قبل قيما على جمع الضرائب في الشرق، أن ثورتهم كانت في جانب كبير منها ثورة على السياسة المالية لموريس. وقد عبروا عن رفضهم لهذه السياسة في شخص لاردوس.[٣٢] ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي يثور فيها العامة بسبب سياسات موريس الاقتصادية، فقد ثاروا قبلا في عام ٦٠١م بسبب انتشار المجاعة في القسطنطينية لنقص كمية القمح الوافدة من مصر وإفريقية، وهي المجاعة التي كانت آثارها لازالت عالقة في أذهان العامة، وبالتالي كانت ثورة عام ٦٠٢م فرصة للتعبير عن ضيقهم، خاصة وأنهم شاهدوا

موريس أكثر من مرة يبيع حصة القسطنطينية من القمح للحصول على سيولة نقدية لخزانته، وهو ما اضطره إلي وقف المنح المجانية التي توزع على فقراء العاصمة.(٣٣)

على أية حال، لقد قدم موريس لحزبي الزرق والخضر، بمشاركته إياهما حراسة القسطنطينية أثناء الثورة، سلاحا استخدموه ضده، حقيقة لقد أسند إليهم أمر حراسة العاصمة مرات متكررة قبلا، في عام ٥٨٦م لمواجهة غارات السلاف، وفي عام ٦٠٠م لصد هجوم الآفار على القسطنطينية، لكن العدو هذه المرة لم يكن أجنبيا، بل كان الجيش البيزنطي ذاته. وعلى ذلك أتاح لهم موريس نفسه الفرصة للمشاركة الإيجابية في أحداث الثورة. وهذا لا يعني أنه كان لكل حزب من الحزبين دافعه للمشاركة في الثورة، فقد ثار الخضر على موريس بسبب توانيه في أمر الشكوى التي تقدموا بها ضد قسطنطين لاردوس لعدم سماحه لهم بتعيين حنا كروكيس John Krokes ديمارخا (رئيسا) عليهم بدلا من سرجيوس الديمارخ الفعلي، ولذلك شاركوا العامة في الانتقام من لاردوس(٣٤)، ويبدو أن هذا الأمر كان له اعتبار عند الخضر، حيث نرى بعد تتويج فوقاس إمبراطورا تم تنفيذ رغبتهم بتعيين كروكيس رئيسا لهم. أما حزب الزرق؛ فرغم صمت المصادر عن مشاركتهم في بداية أحداث الثورة، لكنهم سرعان ما انضموا إليها بغية تنصيب جرمانوس، صهر تيودوسيوس ابن موريس، على عرش الإمبراطورية.(٣٥)

وأيا كان الأمر؛ فقد أسهم تطور الأوضاع إلي إحباط موريس ويأسه من أن يجد له مساند في القسطنطينية، وعندما أسقط الأمر في يده، وأدرك أن عليه سرعة الفرار من العاصمة قبل أن يدخل الجيش ويتحد الجميع ضده، فجمع أفراد أسرته وقسطنطين لاردوس ولاذوا جميعا بالفرار. وعبر أستار الليل، وعلى ساحل مضيق خلقدونية بالقرب من كنيسة أوتونوموس St.Autonomos، أرسى موريس وأسرته، حيث سرعان ما ثارت الطبيعة عليه أيضا فأرسلت إليه رياح عاتية كادت تفتك بسفينته، ولم يكد ينج منها حتى هاجمه مرض التهاب المفاصل فبات طريح الفراش. وهناك أخذ يبحث عن قوة تعضده في مواجهة الأوضاع المتدهورة في القسطنطينية، وكأنه غريق يبحث عن طوق للنجاة، فلم يجد أمامه غير الجبهة الشرقية، حيث لاح الفرس له في الأفق كقوة يمكن أن يرتجى مساعدتها، خاصة وأنه يرتبط بهم بمعاهدة تصالح، فأرسل ابنه ثيودوسيوس إلى ملك فارس خسرو يطلب منه النجدة والمساعدة.(٣٦)

وهكذا ترك موريس بهروبه الساحة لخصومه السياسيين أو لغيرهم من الطامحين إلى السلطة، فأخذ جرمانوس يسعى جاهدا للحصول على تأييد الأحزاب، خاصة وأنه اعتبر نفسه المنافس الوحيد لموريس على عرش الإمبراطورية، ولما كانت رسالة فوقاس السالفة الذكر، التي أرسلها إلي ثيودوسيوس ويعبر فيها عن رغبة الجيش الثائر في إعتلاء أي منه أو جرمانوس، وطالما هرب ثيودوسيوس مع أبيه، فقد شعر جرمانوس أنه أقوى المرشحين للعرش، وأن تأييد الجيش له أمر مفروغ منه، وأن ما يتمتع به من نفوذ ومكانة لدى حزب الزرق يجعل تأييد الحزب له محسوم. ولم ينتظر ما ستسفر عنه تطورات الأحداث، بل أخذ يعمل بجد لتحقيق مآربه، ولضمان تأييد القوى السياسية المعارضة في العاصمة، والمقصود بها حزب الخضر. فأرسل إلي سرجيوس رئيس حزب الخضر يعرض عليه مبلغا من المال وامتيازا وتكريما مقابل دعم ارتقائه للعرش، وعندما عرض سرجيوس الأمر على أعضاء حزبه كان الرفض متوقعا، خاصة وأن انتماءات جرمانوس الحزبية ستجعل من حزب الزرق الأقوى سياسيا في حالة وصوله إلي السلطة.[٣٧]

ويبدو أن حزب الخضر قد خشي من نجاح جرمانوس في محاولاته للاستئثار بالعرش، فتسلل مجموعة من أعضائه ليلا إلى منطقة ريجيون Rhegion حيث يعسكر فوقاس وجنوده ، وأعلنوا تأييدهم له ورغبتهم في ارتقائه السلطة، وطلبوا منه التقدم نحو القسطنطينية.[٣٨] ويبين هذا الموقف مدى العداوة المتأصلة بين حزبي الزرق والخضر، وكيف كان كل منهما يعمل من أجل مصلحته الخاصة دون النظر للمصلحة العامة للإمبراطورية، فالخضر يرفضون جرمانوس رجل السياسة والسناتو، ويفضلون عليه ضابط متواضع مغمور. وهكذا؛ ولأول مرة في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، تنجح ثورة في الإطاحة بالإمبراطور الجالس على العرش، فرغم أن هناك ثورات سابقة أشهرها تلك التي اندلعت في عصر جستنيان، إلا أنها لم تنجح فيما نجحت فيه ثورة القسطنطينية الشعبية عام ٦٠٢م.[٣٩]

وكعادة المجتمع البيزنطي راح يبرر سقوط موريس بأنه نوع من العقاب الإلهي العادل تجاه ما ارتكبه من خطأ في حق الأسرى البيزنطيين، ونسج حول ذلك عددا من النبوءات والأساطير شاعت بين طوائفه ورددها المؤرخون البيزنطيون في كتاباتهم. فتشير المصادر البيزنطية إلي أن ثمة إشاعة سرت في شوارع القسطنطينية مفادها أن موريس أوشك على السقوط على يد شخص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يبدأ اسمه بحرف (φ) اليوناني، ويعادل في العربية حرف (الفاء).الأمر الذي دفع موريس إلى الشك في صهره البطريرك فيليبكوس، فاستدعاه ولم يتركه إلا بعد أن أقسم له الأخير على أنه لم يفكر قط في مثل هذا الأمر.[٤٠]

كذلك تشير المصادر إلى حلم رآه موريس خُيل إليه فيه بمشاهدة جمهور غفير من الناس محتشدين عند البوابة الذهبية تحت أيقونة المسيح الكبرى وهم يهتفون ضد الملك. وسُمع صوت صادر من الأيقونة يأمر بحضوره، وما إن حضر حتى سأله الصوت إن كان يفضل التكفير عن ذنبه في حق الأسرى في هذه الحياة أم في الآخرة. فأجاب: "في هذه الحياة سيدي الرحيم". فسمع الصوت يقول: "سلموه إذن إلي فوقاس مع جميع أسرته". وعندئذ نهض موريس من نومه مذعورا، وبعد أن استدعى فيليبكوس واعتذر له عن شكوكه الباطلة، سأله إن كان يعرف جنديا اسمه فوقاس، فأجابه الأخير بأنه يعرفه، فسأله عن سنه وأخلاقه، فأجاب بأنه شاب وأخلاقه تتراوح بين التهور والجبن. فقال: "إذن جبان، فقاتل".[٤١]

ويبدو أن قصة الحلم التي رددتها المصادر التاريخية، قد شاعت بين طوائف المجتمع في القسطنطينية بعد إعدام موريس وعائلته الملكية، وقت أن شاهد شعب القسطنطينية جموح فوقاس ودمويته التي طالت الكثيرين، وحينها وضح له أن أخطاء موريس مهما بلغت لا يمكن مقارنتها بخطايا فوقاس، ولذلك عمد إلي تفسير ما حدث لموريس بأنه عقاب إلهي عادل على خطئه في حق الأسرى البيزنطيين، وفي ذات الوقت تكفيرا له. فقد فسر نيقفور كاليستوس Nicephoros Callistus ما لحق بموريس بأن "الله غضب على موريس بسبب هذا الإثم"[٤٢].

كذلك؛ رددت المصادر البيزنطية فكرة التكفير عن الخطأ حينما أظهرت موريس في ثوب النادم الراغب في التوبة، فيذكر زوناراس أن موريس راح يتضرع إلي الله أن يعاقبه على ذنبه في حق الأسرى في هذه الحياة، وطلب من الجميع أن تُرفع الصلوات لهذا الغرض.[٤٣] كذلك يشير كدرينوس إلي أن الحلم الذي رآه موريس في منامه جاء بعد صلوات كثيرة كانت تُرفع من أجله[٤٤]. ولا شك في أن الاعتراف بالخطأ والرغبة في التكفير عنه ارتبطا ارتباطا وثيقا بالمفهوم البيزنطي المسيحي عن فكرة الخلاص. ومن هنا جاءت رواية المصادر البيزنطية أنه في ذات يوم رؤية موريس لذلك الحلم، أرسل إلي القديسين يستشيرهم في هذا الشأن، وجاءته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإجابة التالية: "لقد قبل الله ندامتك ومنحك الخلاص وجعلك مع جميع أفراد أسرتك مع القديسين، لكنك ستفقد ملكك وسط المخاطر والعار".[٤٥]

وكما صاغت المصادر التاريخية قصة سقوط موريس في قالب التفسير الديني، عمدت أيضا إلي صبغ نهايته بذات الطابع، فيذكر زوناراس وكدرينوس أنه في ذات الليلة التي سقط فيها موريس "ظهر في السماء مذنب بشكل السيف"[٤٦]، كذلك تذكر المصادر البيزنطية أنه في ذات اللحظة التي أُعدم فيها موريس "أعلنت التماثيل القائمة في المكان المسمى Tychaeus بالإسكندرية، وبصوت أقترب من الصراخ، ما جرى لموريس"[٤٧]. وفي ذات الصدد تذكر هذه المصادر أن رجلا صالحا من النساخ السكندريين لدى عودته إلي بيته في منتصف الليل سمع التماثيل تعلن من فوق مذابحها أن موريس قُتل مع أبنائه، وعند الصباح نقل الخبر إلي والي المدينة أوغسطاليس Augustalis وأسقفها بطرس، فأمراه بتكتم الخبر، وبعد تسعة أيام تأكد صحة ما سمع[٤٨].

وإذا كانت المصادر البيزنطية قد برّرت سقوط موريس في ضوء مفهوم الخطيئة وما يستتبعها من عقاب إلهي عادل، فإن الظواهر الخارقة التي صاحبت موته ربما كانت لتأكيد فكرة خلاص موريس من خطيئته، أو ربما أيضا للتعبير عن المصير الذي آلت إليه الأمور بعد سقوطه. وهنا تعكس لنا تلك المصادر صورة شديدة السلبية عن عصر فوقاس، ولنبدأ بالتقرير الموجز الذي افتتح به البطريك نقفور كتابه "التاريخ المختصر" عن ذلك العصر، والذي جاء فيه: "عقب مقتل موريس، اعتلى فوكاس، الذي اقترف هذه الجريمة النكراء، العرش الإمبراطوري، مدعيا أحقيته بالسلطة، مما أدى إلي تدهور أحوال المسيحيين. وكان معروفا للجميع أنه في الوقت الذي كان الفرس يهددون الإمبراطورية الرومانية من الخارج تهديدا خطيرا، كان فوقاس يقترف تدميرا أسوأ أثرا في الداخل".[٤٩] أما كدرينوس فيصف بداية عصر فوقاس بقوله: "عندما اقتحم الخضر البلاط وأخذوا يهتفون للطاغية، وأوعزوا إليه أن يأتي إلي الهيبدروم، خرج البطريرك قيرياقوس Kyriacus والشيوخ لاستقباله، وطلبوا منه الحفاظ على الإيمان القويم والدفاع عن الكنيسة ضد الغوغائيين. وأعلنوا فوكاس إمبراطورا في كنيسة يوحنا المعمدان، وسلموا الصولجان لهذا الرجل الشرير الطاغية، وحلت الملمّات بالوطن الآمن، وكانت بداية سلسلة من الكوارث قضت على دولة الرومان".[٥٠]

وكعادة البيزنطيين راحوا يفسرون ارتقاء فوقاس العرش على أنه عقاب إلهي على ما ارتكبته أيديهم من أخطاء. فقد روي أن أحد الرهبان تساءل قائلا: لماذا ولي الله على النصارى إمبراطورا شريرا كهذا، فأجاب الرب: لأنه لم يوجد من هو أكثر شرًا منه على ما استحقت مآثم أهل القسطنطينية".[٥١] كذلك راح كاتب سيرة القديس ديمتريوس يعبر عن مفهوم العقاب الإلهي لتفسير أحداث هذه الفترة بقوله: "جميعكم تعرفون كم من فتنة أثارها الشيطان في المدينة في عهد سعيد الذكر موريس، فانطفأ دفء المحبة وزرع الحقد في الإمبراطورية بأسرها، حتى لم يكتف الأخوة بسفك الدماء في الميادين، بل هاجموا المنازل نفسها وقتلوا من فيها، وكل من لجأ إليها من نساء وأطفال ومرضى ليحتموا بها ألقوا من فوقها أرضا، وسلب بعضهم بعضا، الصديق صديقه والجار جاره، كما يفعل البرابرة. وهكذا اجتاحت المجازر الشيطانية جميع الجهات، فتحولت إلي مغارة للصوص، وكما ينتشر الحريق انتشرت الفتنة، وأعمى الطمع ونار الفتنة جميع القلوب إلي أن بلغ المدينة التي يحرسها القديسون".[٥٢]

كذلك يصف نيقفور كاليستوس اعتلاء فوقاس العرش بمن وجد نفسه "قاب قوسين من سدة الحكم، أو كمن ركب مركبا بلا أية دراية بالحكم" ، ووصف مراسم تتويجه بقوله: "وسرعان ما استولى الخضر على البلاط وأخذوا يهتفون للطاغية كإمبراطور، فأرسل فوكاس أحد الأعيان، ويدعى ثيودور[٥٣]، يستدعي البطريرك وأعيان الشعب. فلما التئم جمعهم في كنيسة القديس يوحنا المعمدان، توجوا الوحش النجس بتاج الملك. وعلى الفور دخل فوكاس المدينة في موكب مهيب وراح يمطر الشعب بالذهب، فغابوا جميعا عن رشدهم بهجة بتلك الأبهة".[٥٤]

ولا ريب في أن الصورة السلبية التي عكستها المصادر البيزنطية عن فوقاس كانت نتاجا لسياسته الجامحة وسلوكه الدموي الذي بدا ظاهرا للعيان منذ اليوم الأول لوصوله إلي السلطة. وقد عكست المصادر البيزنطية هذا السلوك في الأسلوب الذي انتهجه للانتقام من خصومه السياسيين والتنكيل بهم، خاصة أفراد العائلة الملكية المنصرمة وكبار رجال القصر، فتشير إلي هروب موريس مع زوجته قسطنطينة وأبنائه التسعة فجر يوم الجمعة الثالث والعشرين من نوفمبر، وبعد يومين دخل فوقاس العاصمة عبر البوابة الذهبية Chalke gate دون أدنى مقاومة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بل ووسط تهليل الجميع[٥٥]. غير أن ما ذكرته لاحقا من تصرفاته كانت فيما يبدو سببا في إثارة استياء شعبي تجاهه، فقد قبض على موريس وزوجته وثمانية من أولاده بالقرب من كنيسة القديس St. Autonomus في Praenetus، وتم ذبح موريس أمام مرفأ Eutropius مع ثلاثة من أبنائه الذكور، وتم ذبح أحدهم أمام أعين موريس نفسه. وتشير المصادر البيزنطية إلي أن موريس تقبل نهايته بشجاعة ورباطة جأش، وأنه راح يردد عبارات عن العدالة الإلهية. أما زوجته قسطنطينة فقد أودعها أحد الأديرة إلي حين، ثم أعدمها خارج المدينة عند مرفأ Eutropius بخلقدونية "مع كل من تبقي من سلالتها وسلالة موريس" وكان ذلك في السابع من يونيو ٦٠٣م، وقد اجتمع العامة لمشاهدة جثث القتلى في مضيق خلقدونية، أما رؤوسهم فقد حملها الجنود إلى القسطنطينية، حيث مثل بها أمام العامة، الأمر الذى جعل الجميع، رغم كراهيتهم لموريس، يتعاطفون معه ويتأسون للطريقة البشعة التى قضى بها فوقاس عليه وعلى أبنائه[٥٦].

وترجع المصادر سبب إقدام فوقاس على مطاردة موريس وإعدامه، إلي أنه في يوم الاحتفال بتتويج ليونتيا زوجة فوقاس، دب خلاف في الهيبدروم بين حزبي الزرق والخضر، حيث جلس الخضر على المقاعد المخصصة للزرق. الأمر الذي أثار غضب الزرق فرفعوا أصواتهم معلنين لفوقاس: "اذهب وتعلم البروتوكول، فموريس لم يمت بعد".[٥٧] غير أنه من الصعب تصور أن هتاف الزرق وحده كان كفيلا بأن يثير ثائرة فوقاس ويدفعه إلي البحث عن موريس وأسرته للتخلص منهم. بل لقد رأى أنه لن يتسنى له توطيد حكمه إلا بعد القضاء على كل من يمت للنظام القديم بصلة، ولذلك أعقب مذبحة موريس وزوجته وأولاده بمجزرة أخرى أتى فيها على من تبقى من أقاربه وأعوانه، فقطع رؤوس بطرس قائد جيش الدانوب وشقيق موريس، وكومنتيولوس قائد الحرس الإمبراطوري، والقائد جورجيوس نائب فاييكوس صهر موريس، والقائد براستيوس مستشار بطرس وصديقه، وقسطنطين لاردوس الوالي البرايتوري للعاصمة، أما جرمانوس وفلبيكوس فقد أجبرهما على دخول الدير.[٥٨]

لقد عبر ثيوفلاكت ثيموقطا عن دموية فوقاس في آخر فقرة من مؤلفه التاريخي بقوله: "في هذه الأيام، حلت الخطيئة على العالم المأهول، فقد كانت الفرصة لكل الشرور العظيمة سانحة،

وكانت الإشاعة الزائفة كفيلة بأن تجرى بشأنها المذابح، ولم يقتصر الأمر على الأعـداء، بـل امتدت يد فوقاس لقتل شركائه في الطغوان، وراح يدبر المذابح لخلفائه التابعين".[٥٩]

بقيت الإشارة إلي أن فوقاس بعد اغتصابه العرش، أرسل إلى القوى المجاورة يعلن تـسلمه السلطة، فأرسل القائد ليليوس Lilios على رأس وفد محمل بالهدايا إلي خسرو ملك فـارس، الذي رفض مقابلة الوفد، واتخذ من قتل موريس ذريعة لنقض معاهدة عام ٥٩١م، معلنا أنه لن يحارب الإمبراطورية، بل سيحارب قاتل موريس ليثأر منه، وعلى ذلك كانت إحدى النتـائج المباشرة لثورة عام ٦٠٢م إشعال الحرب من جديد بين الطرفين.[٦٠]

وفي الخامس والعشرين من أبريل عام ٦٠٣م، وصل سفراء فوقاس إلي روما يحملون صورا لفوقاس وزوجته ليونتيا، وقد استقبلهم شعب روما بترحاب واحتفال كبيرين، حاملين البخور والشموع، وقادوهو إلي مقر السناتو الروماني، حيث تم الهتاف للإمبراطور الجديـد: "الحيـاة المديدة للإمبراطور فوقاس وزوجته الأوجستا ليونتيا"، ثم سلم البابا جريجـوري الأول الوفـد البيزنطي رسالة تحمل تهنئته لفوقاس.[٦١]

هكذا، كان ظهور شخصية مثل فوقاس على عرش الإمبراطورية نتاجا أفرزتـه الظـروف العصيبة التي مرت بها الإمبراطورية منذ عهد جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م)، فأكثر مـن ثـلاث أرباع قرن من الحروب المتواصلة، أمر أسهم في إنهاك الإمبراطورية وإصابة اقتصادياتها بالشلل، وهو الأمر الذي إنعكس على ارتباك سياسات أباطرتها بعد جستنيان، وألقى بظلالـه علـى الأوضاع المجتمعية في الإمبراطورية، خاصة مجتمع القسطنطينية. وفي ظل هذه الظـروف جـاء فوقاس الذي لم يكن له سيرة تذكر، بل ضابط من أصل اجتماعي متواضع، ليحظى بتأييد شعبي جارف، وربما كانت أصوله الاجتماعية عاملا أدى إلي ارتباط العامة به. ومن ناحية أخـرى؛ وجد حزبي الخضر والزرق في فوقاس قوة جديدة يمكن أن تحدث تغييرا وتنهي العهـد البائـد بسلبياته، وتزيل آثار حكم موريس. وربما ظن العامة أيضا أن معاناتهم الاقتصادية والاجتماعية ستزول بزوال موريس وحلول فوقاس، الشخص الذي لا ينتمي إلي الأصول الأرسـتقراطية والأقرب إلي فهم معاناة الفقراء والطبقات الكادحة. غير أن ما أظهرته السنوات القليلة التالية أثبتت خيبة أمل الجميع.

ولنختم بتعليق لفتشنكو Levtchinko على أحداث عام ٦٠٢م، إذ أطلق عليها صفة "الثورة"، واعتبرها صراعا اجتماعيا ونزاعا طبقيا بين الفلاحين والصناع وصغار الجند من جهة، وبين المقربين من السلطة من كبار الموظفين وأصحاب الثروات من جهة أخرى، ويرى أنها ثورة فاشلة من منظور الثوار أنفسهم، لأن من أتوا به إلي السلطة، أي فوقاس، لم يحرص على تحقيق آمالهم بقدر ما سعى إلي توطيد سلطته فقط.(٦٢)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامش

([1]) Vitae Sanctorum, Suppelementum, S. Demetrii Martyris Acta, PG 116, cols.1081-1462, esp.col. 1259: ch.79.

(٢) هناك دراسات عديدة تناولت حروب جستنيان الإستردادية في الغرب الأوروبي وأوضاع الإمبراطورية في عهده، أحدثها:

Haldon, J., Economy and Administration: How did the Empire work? , in: Age of Justinian, ed. M.Maas, Cambridge, 2006, pp.28-59; Lee, A.D., The Empire at War, in: Age of Justinian, ed. M.Maas, Cambridge, 2006, pp.113-133.

وأنظر كذلك: محمد فتحي الشاعر، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عصر الإمبراطور جوستنيان، القاهرة، ١٩٩٢م؛ محروس عبد القدوس سعيد، جوستنيان وسياسة الاسترداد، ماجستير غير منشور، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ١٩٨٧م.

(٣) كانت سياسات خلفاء جستنيان الاقتصادية والمالية، التي تراوحت ما بين الإسراف والتقطير، ومحاولة إرضاء العامة وتلبية احتياجات الإمبراطورية المالية دون إصلاحات مالية حقيقية، خير شاهد على ما بلغته الخزانة الإمبراطورية من أزمة حقيقية واضطراب في الميزان الاقتصادي عقب وفاة جستنيان. عن أوضاع الإمبراطورية البيزنطية في عهد خلفاء جستنيان، أنظر:

Turtledove, H.N, The Immediate Successors of Justinian: a study of the Persina problem and a continuity and change in internal secular affairs in the later Roman Empire during the reigens of Justin II and Tiberius I. Constantine (A.D.565-582), unpublished Ph.D. thesis, University of California, 1977.

ناصر عبد الحميد زيدان، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطورين جستين الثاني وتيبريوس (٥٦٥-٥٨٢م)، ماجستير غير منشور، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٤م.

(٤) أدى اجتياح القبائل السلافية ثم الأفارية لشبه جزيرة البلقان طوال القرن السادس الميلادي إلي تخريب وتدمير مدن وقرى البلقان، وبالتالي إلي هجرة الكثيرين من مواطنيها إلي أماكن أخرى من الإمبراطورية، مما أدى إلي مشاكل مالية واجتماعية خطيرة. أنظر:

Alexander, E.M., Early Slavic invasions and settlements in the Area of Lower Danube in the 6th through the 8th centuries, unpublished Ph.D. thesis, New York University, 1994, pp.165-173; Curta, F., Making an early Medieval ETHNIE: the case of the early Slavs (sixth to seventh century A.D.), unpublished Ph.D. thesis, Western Michigan University, 1998, pp.162-164, 202-225.

(5) Haldon, J., Byzantium in the seventh century, the transformation of a cukture, Cambridge, 1990, pp.35-37.

وأنظر كتاب "التاريخ السري" Anekdota لبروكوبيوس، الذي يقدم نقدا لاذعا لعصر جستنيان وسياسته: بروكوبيوس، التاريخ السري، ترجمة علي زيتون، دمشق، ٢٠٠٣؛ التاريخ السري لبروكوبيوس: حياة الإمبراطور جستنيان وثيودورا، ترجمة صبري أبو الخير، القاهرة، ٢٠٠١م. وعن الأوبئة والطواعين خلال هذه الفترة، أنظر:

Hordon, P., Mediterranean Plague in the age of Justinian, in: Age of Justinian, ed. M.Maas, Cambridge, 2006, pp.134-160.

(٦) عن إصلاحات موريس العسكرية، أنظر: وفاء عبد الحميد محمد، الإمبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢م)، ماجستير غير منشور، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٨م، ص١٥٨-١٦٠.

(7) Theophylact Simocatta, Historia, CSHB, Bonnae, 1834, 112-118. Eng. Trans, The History of Theophylact Simocatta, trans. Michael & Mary Whitby, Oxford, 1986, 74-75; Theophanes, Chrongraphia, Eng. Trans. The Chronicle of Theophanes the Confessor. Byzantine and Near Eastern History. A.D. 284-813, trans. C.Mango & R.Scott, Oxford, 1997, p.398; Higgins,J., Note on the Emperor Maurice's military administration, Analecta Bollandiana 16(Bruxelles,1940), p.398.

يذكر ثيوفانيس أن مرسوم موريس كان يقضي بتوزيع مرتب الجندي إلي ثلاثة أقسام متساوية، بحيث يتقاضى ثلثا من العملات الذهبية، والثلث الثاني من الأسلحة، والأخير من الملابس. أنظر كذلك: ليلى عبد الجواد اسماعيل، الدولة البيزنطية في عصر هرقل وعلاقتها بالمسلمين، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٨٧.

(٨) الجنيه الذهبي البيزنطي يعادل ٧٢ نوميزما Nomisms أو الصولدى solidus العملة الذهبية البيزنطية، وتساوي النوميزما الواحدة ٢٤ قيراطا keratia . أنظر:

Grierson, Ph., Byzantine Coinage, Washington, D.C., 1999, PP.57,59,60; Grierson, Ph.,The value of the Solidus in the fifth and sixth centuries A.D., Journal of Roman Studies 49(1959), pp.73-80.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولعل هذا يفسر سبب غضب خاقان الأفار وأمره بقتل الأسرى البيزنطيين بسبب تدني قيمة عرضه على موريس.

(9) Chronicon Paschale, CSHB, vol.I, Bonnae, 1832, p.692; Theophanes, Chrongraphia, p.404.

(10) Nicephori Callisti Xanthopuli, Ecclesiasticae Historiae, libri 18, PG 147, col.403.

(11) Ioannis Zonaras, Epitomae Historiarum, libri 8, CSHB, Bonnae, 1897, p.193.

(12)Theophanes, Chrongraphia, p.408.

كذلك يذكر زوناراس أن أحد الرهبان رفع سيفا وسار من الميدان حتى البوابة الذهبية وهو يهتف بأن موريس سيسقط قريبا بالسيف. Zonaras, Epitomae Historiarum,, p.193.

(13) Theophylact Simocatta, Historia, p.294. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, pp.213-214.; Chronicon Paschale, p.694.

(14) heophanes, Chrongraphia, pp.403, 407. Stratos, A.N., Byzantium in the seventh century, vol.I, Amesterdam, 1968, p.44.

يقول ثيوفانيس أن موريس هو الذي أمر كومنتيولوس بخيانة الجيش بسبب عد التزام الجنود بالنظام. ويقول أيضا أن "الإمبراطور لم يعر اهتماما للاتهامات الموجهة ضد كومنتيولوس". ويرى استراتوس أن استياء الجنود والعامة جاء نتيجة شعورهم بأن موريس لم يرفض افتداء الأسرى بسبب خلو الخزانة بل بسبب بخله، الأمر الذي دفعهم إلي الاعتقاد بأنه حريص على المال أكثر من حرصه على نفوس وأرواح جنوده. وأن هذا الاعتقاد تأكد لديهم بعد الموقف السلبي الذي أظهره موريس حيال ما رأوه من خيانة من قبل قائدهم كومنتيولوس.

(15) Theophylact Simocatta, Historia, p.260. Eng. Trans.:History of Theophylact Simocatta, p.214-215, 221.

(16) Norwich, J.J, Byzantium: the early centuries, New York, 1989,278.

(17)Theophylact Simocatta, Historia, p.260. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.214-215; Theophanes, Chrongraphia, p.409.

(18) Theophylact Simocatta, Historia, p.260. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.179-180.

(19) Theophylact Simocatta, Historia, pp.324-325. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.218-220; Theophanes. Chrongraphia, pp.411-412.

(20) Stratos. Byzantium, I,pp.29-30.

(21) Browning. R., Byzantium and Bulgaria. London, 1977, p.37.

نجح القائد بريسكوس في إحراز عددا من الانتصارات المتالية على الأفار في الفترة بين عامي ٥٩٧-٥٩٩م، وبالرغم من فشل كومنتيولوس بعد ذلك في صد هجماتهم، إلا أن وباء الطاعون الذي اجتاح جيوشهم عام ٦٠١م وما نتج عنه من اضطرارهم عقد صلح. غير أن موريس سرعان ما نقض هذا الصلح وأمر أخيه بطرس بشن حملات ضدهم، ونجح في إحراز بعض الانتصارات، خاصة مع حدوث انقسامات في جيش الخاقان وفرار عدد من جنوده إلي الجيش البيزنطي، الأمر الذي دفع الخاقان إلي محاولة هدنة الجبهة حتى يستطيع تنظيم قواته، وجعل موريس على الجانب الآخر يصر على مواصلة الحرب والإفادة من انقسامات الجيش الآفاري. ومن هنا جاء إصراره على أن يواصل الجيش حروبه خلال فصل الشتاء. أنظر:

Theophylact Simocatta, Historia, pp.297-323. Eng. Trans.History of Theophylact Simocatta, pp.216-220; Theophanes, Chrongraphia, p.407.

(22) Theophylact Simocatta, Historia, pp.324-325. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.218; Theophanes, Chrongraphia, pp.411-412.

(23) Higgins. Maurice's military administration. pp.445-446.

(24) Norwich, Byzantium, pp.275-276.

(25) Theophylact Simocatta, Historia, p.328. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.220; Theophanes, Chrongraphia, p. 412.

(26) Theophylact Simocatta, Historia, p.327. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.220; Theophanes, Chrongraphia, p. 412.

(27) Theophylact Simocatta, Historia, p.329. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.221; Theophanes, Chrongraphia, p. 412.

كان جرمانوس خو ثيودوسيوس، وكان عضوا بمجلس السناتو وعرف بولعه الشديد بالعلوم والآداب، ويبدو أنه كان ينتمي إلي حزب الزرق.

(28)Baynes. N., The Successors of Justinian, in: Cambridge Medieval History, vol. II, pp.263-301, 281-282.

(29) Theophylact Simocatta, Historia, p.330-331. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p. 223; Theophanes, Chrongraphia, p. 412-413: Nicephoros Callistus, Ecclesiasticae Historiae, col.406.

(٣٠) وفاء عبد الحميد، الإمبراطور موريس، ص١٦٢-١٦٣.

(31) Theophylact Simocatta, Historia, p.330-331. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.221-223; Theophanes. Chrongraphia, p. 413; Nicephoros Callistus, Ecclesiasticae Historiae, col.406.

(32) Theophylact Simocatta, Historia, p.330-331. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.223; Theophanes, Chrongraphia, p. 413; Nicephoros Callistus, op. cit., col.406.

(٣٣) يذكر ثيوفلاكت ثيموقطا أن هذا التمرد كان بسبب المجاعة ونقص الغذاء الذي حل بالقسطنطينية في شتاء هذا العام، ويروي أنه بينما كان موريس يحتفل بعيد الميلاد بين الناس في كنيسة آيا صوفيا، هاج العامة ضد الإمبراطور وطالبوه بالخبز بصراخ وأصوات عالية، وانهالوا عليه بالسباب والشتائم، وتطور الأمر إلي قذفه بالحجارة، وكادوا يصلون إليه لولا تدخل فرقة الحرس الإمبراطوري، حيث التفوا حوله حتى أخرجوه من الكنيسة. وهرب موريس إلي كنيسة العذراء التي تقع في حي بالشرناى حيث يقيم الزرق، وهذا يشير إلي أن مثيري الشغب كانوا من حزب الخضر.

Theophylact Simocatta, Historia, p.321-323. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p. 215-216.

وفاء عبد الحميد، الإمبراطور موريس، ص٥٧.

(٣٤) يخص ثيوفانيس حزب الخضر وحده بالمشاركة في حرق محل لاردوس، بينما لم يحدد ثيوفلاكت مشاركة أي من الحزبين في ذلك.

Theophylact Simocatta, Historia, p.330-331. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.223; Theophanes. Chrongraphia, p. 413.

(35) History of Theophylact Simocatta, p. 224; Stratos, Byzantium, I, pp.46-48.

(36) Theophylact Simocatta, Historia, p.346. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.223-224; Theophanes, Chrongraphia, p. 413.

(37)Theophylact Simocatta, Historia, p.346. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p. 224; Theophanes, Chrongraphia, p. 413.

(38)Theophylact Simocatta, Historia, p.346-347. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p. 224-225; Theophanes, Chrongraphia, p. 413.

(٣٩) عن ثورة عصر جستنيان، أنظر: رأفت عبد الحميد، الثورة الشعبية في القسطنطينية سنة ٥٣٢م، بحث منشور في كتاب بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٩٩-٢٤٩.

(40)Theophanes. Chrongraphia, pp.410; Zonaras, Epitomae Historiarum, pp.193-194.

(41)Theophanes. Chrongraphia, pp.410-411; Zonaras, Epitomae Historiarum, pp.194-195.

يذكر كيدرينوس نفس قصة الحلم، وإن اختلف بعض الشئ في تفاصيله، فيشير إلي أن هذا الحلم جاء بعد صلوات كثيرة كانت تُرفع من أجل موريس، وأنه خُيل إليه بأنه يقف أمام أيقونة المسيح وعدد كبير من الأسرى يوجهون إليه الاتهامات.

Georgii Cedreni Historiarum Compendium, CSHB, I, Bonnae, 1838, p.704.

أما نيقفور كاليستوس فقد أشار إلي قصة الحلم بإيجاز بقوله: "شاع في المدينة أن المسيح ظهر له في الحلم وأبلغه أنه أمسى تحت رحمة فوكاس. ولما غضب موريس من نومه، استدعى صهره فيليكوس من السجن، حيث كان يخشى من

الحرفين الأولين في اسمه على العرش ولذلك سجنه. ثم سأله إن كان يعرف فوكاس هذا، فأجابه نعم. فسأله عن أخلاقه، ولما علم أنه جبان قال: إن كان حقا جبانا فهو لا محالة قاتل".

Nicephoros Callistus, Ecclesiasticae Historiae, col.403.

(42)Nicephoros Callistus, Ecclesiasticae Historiae, col.403.

(43) Zonaras, Epitomae Historiarum, p.193

(44)Cedrenus, Historiarum Compendium, p.704.

(45) Theophanes, Chrongraphia, pp.410-411; Cedrenus, Historiarum Compendium, p.704; Zonaras, Epitomae Historiarum, p.195.

(46)Cedrenus, Historiarum Compendium, p.704; Zonaras, Epitomae Historiarum, p.195.

(47)History of Theophylact Simocatta, p.231; Nicephoros Callistus, Ecclesiasticae Historiae, col.411.

(48) History of Theophylact Simocatta, pp.231-232; Cedrenus, Historiarum Compendium, p.710.

(49) Nikephoros Patriarch of Constantinople, Short History, trans. C.Mango, Washington,D.C., 1990, P.35.

البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ترجمة هاني عبد الهادي البشير، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص.٥٧.

ARCHIVE

(50) Cedrenus, Historiarum Compendium, p.706.

وأنظر كذلك: History of Theophylact Simocatta, p.225; Theophanes, Chrongraphia, p.413.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(51) Mansi, Sacrorum Conciliorum, Tomus Decimus, p.503.

(52) S. Demetrii Martyris Acta, cols.1262-1263.

(٥٣) يتبعه كل من ثيوفلاكت ليموقطا وثيوفانيس بالـ secretis ، مما يعني أنه كان سكرتيرا لفوقاس وكاتما لسره.

History of Theophylact Simocatta, p.225; Theophanes, Chrongraphia, p.413.

(54) Nicephoros Callistus, Ecclesiasticae Historiae, col.407.

لا شك في أن فوقاس باستدعائه أعضاء مجلس السناتو ورجال الدين وعلى رأسهم البطريرك وأعيان الشعب كان يهدف إلى وجود كافة العناصر التي تجعل تتويجه شرعيا، وتصبغه بالصبغة الدينية. غير أن تتويجا بهذا النحو يعني بروز دور الأحزاب السياسية على حساب الجيش ومجلس السناتو أصحاب الدور الفاعل قبلا في اختيار الأباطرة. وهو ما علق عليه كاميرون بقوله: "لقد توارى الجيش والسناتو أمام نفوذ الأحزاب الذي بدأ يتزايد في عصر خلفاء جستنيان، حيث استطاعوا عام ٦٠٢م أن يتوجوا إمبراطورا بعينه ويمنحونه مقاليد السلطة الإمبراطورية، خاصة وأن فوقاس جاء من الطبقة الدنيا في الجيش، ولم يكن ليطمح فيما أحرزه إلا عندما ساق إليه التنافس الحزبي العرش الإمبراطوري".

Cameron, A., Circus Factions. Blues and Greens at Rome and Byzantium, oxford, 1976, pp.31-32.

(55)Chronicon Paschale, p.693.

يذكر كاتب الحولية الفصحية أسماء أبناء موريس التسعة، وهم ستة ذكور: ثيودوسيوس وتيبريوس وبطرس وبولس وجوستين وجوستينيانوس، وثلاث إناث: أناستاسيا وثيوكتيستا وكليوباترة. Ibid, p.693.

(٥٦) عدم فوكاس في البداية أبناء موريس الكبار، بطرس وجوستين وجوستينيانوس، مع أبيهم، ثم أعدم قسطنطين وباقي الثلاث وزوجة إبنها ثيودوسيوس Chronicon Paschale,pp.694,695-697.; History of Theophylact Simocatta, p.227; Theophanes, Chrongraphia, p.414.

يشير ثيوفانيس إلي أن موريس أعدم مع خمسة من أبنائه الذكور.

(57)History of Theophylact Simocatta, p.226; Theophanes, Chrongraphia, p.413-414.

(58)Chronicon Paschale, p.693; History of Theophylact Simocatta, pp.230-231; Theophanes, Chrongraphia, p.414; Cedrenus, Historiarum Compendium, p.709; Zonaras, Epitomae Historiarum, p.197.

لم يبق من رجال موريس سوى القائد نارسيس الذى استولى على الرها بمساعدة خسرو ملك فارس عام ٦٠٣م، فأرسل إليه فوقاس قائده دومنتزيولوس لحصاره في الرها، وعرض عليه تسليم المدينة لقاء صفح فوقاس، وبالفعل عاد نارسيس إلي القسطنطينية ليحرق حيا في نهاية عام ٦٠٥م.

Theophanes, Chrongraphia, p.421; Cedrenus, Historiarum Compendium, p.710-711; Zonaras, Epitomae Historiarum, p.199.

(59)History of Theophylact Simocatta, p.236.

(60) History of Theophylact Simocatta, pp. 234-235; Theophanes, Chrongraphia, p.419; Chronicon Paschale, p.694; Cedrenus, Historiarum Compendium, p.709; Zonaras, Epitomae Historiarum, p.197.

(61) Oman, Ch., The Dark Ages 476-918, London, 1914, 157.

وعن العلاقات السيئة بين موريس والبابوية، أنظر: وفاء عبد الحميد، الإمبراطور موريس، ص٦٩-٧٥.

(٦٢) أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم، الجزء الأول، بيروت، ١٩٥٥، ص٢٠٩-٢١٠.

المصادر والمراجع

أولا. المصادر:-

Anonymous, Chronicon Paschale, CSHB, vol.I, Bonnae, 1832

Georgii Cedreni Historiarum Compendium, CSHB, I, Bonnae, 1838

Ioannis Zonaras, Epitomae Historiarum, libri 8, CSHB, Bonnae, 1897

Mansi, Sacrorum Conciliorum, Tomus Decimus, p.503.

Nicephori Callisti, Ecclesiasticae Historiae, libri 18, PG 147

Nikephoros Patriarch of Constantinople, Short History, trans. C.Mango, Washington,D.C., 1990

St. Demetrius of Thessalonike: Vitae Sanctorum, Suppelementum, S. Demetrii Martyris Acta, PG 116, cols.1081-1462. esp.col. 1259: ch.79.

Theophylact Simocatta, Historia, CSHB, Bonnae, 1834, 112-118. Eng. Trans, The History of Theophylact Simocatta, trans. Michael & Mary Whitby, Oxford, 1986

Theophanes, Chrongraphia, Eng. Trans. The Chronicle of Theophanes the Confessor. Byzantine and Near Eastern History. A.D. 284-813, trans. C.Mango & R.Scott, Oxford, 1997

ثانيا. المراجع الأجنبية:-

Alexander, E.M., Early Slavic invasions and settlements in the Area of Lower Danube in the 6th through the 8th centuries, unpublished Ph.D. thesis, New York University, 1994.

Baynes, N., The Successors of Justinian, in: Cambridge Medieval History, vol. II, pp.263-301

Browning, R., Byzantium and Bulgaria, London, 1977

Cameron, A., Circus Factions, Blues and Greens at Rome and Byzantium, oxford, 1976

Curta, F., Making an early Medieval ETHNIE: the case of the early Slavs (sixth to seventh century A.D.), unpublished Ph.D. thesis, Western Michigan University, 1998.

Grierson, Ph.,The value of the Solidus in the fifth and sixth centuries A.D., Journal of Roman Studies 49(1959), pp.73-80.

Grierson, Ph., Byzantine Coinage, Washington, D.C., 1999

Haldon, J., Byzantium in the seventh century. the transformation of a cukture, Cambridge, 1990.

Haldon, J., Economy and Administration: How did the Empire work? , in: Age of Justinian, ed. M.Maas, Cambridge, 2006, pp.28-59; Lee, A.D., The Empire at War, in: Age of Justinian, ed. M.Maas, Cambridge, 2006.

Higgins,J., Note on the Emperor Maurice's military administration, Analecta Bollandiana 16(Bruxelles,1940)

Hordon, P., Mediterranean Plague in the age of Justinian, in: Age of Justinian, ed. M.Maas, Cambridge, 2006, pp.134-160.

Norwich, J.J, Byzantium: the early centuries, New York, 1989

Oman, Ch., The Dark Ages 476-918, London, 1914

Stratos, A.N., Byzantium in the seventh century, vol.I, Amesterdam, 1968

Turtledove, H.N, The Immediate Successors of Justinian: a study of the Persina problem and a continuity and change in internal secular affairs in the later Roman Empire during the reigens of Justin II and Tiberius I. Constantine (A.D.565-582), unpublished Ph.D. thesis, University of California, 1977.

ثالثا. المصادر والمراجع العربية والمعربة:-

أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم، الجزء الأول، بيروت، ١٩٥٥م.

بروكوبيوس، التاريخ السري، ترجمة علي زيتون، دمشق، ٢٠٠٣.

بروكوبيوس، التاريخ السري لبروكوبيوس: حياة الإمبراطور جستنيان وثيودورا، ترجمة صبري أبو الخير، القاهرة، ٢٠٠١م.

رأفت عبد الحميد، الثورة الشعبية في القسطنطينية سنة ٥٣٢م، بحث منشور في كتاب بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٩٩-٢٤٩.

ليلى عبد الجواد اسماعيل، الدولة البيزنطية في عصر هرقل وعلاقتها بالمسلمين، القاهرة، ١٩٨٥م.

محروس عبد القدوس سعيد، جوستنيان وسياسة الاسترداد، ماجستير غير منشور، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ١٩٨٧م.

محمد فتحي الشاعر، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عصر الإمبراطور جوستنيان، القاهرة، ١٩٩٢م.

ناصر عبد الحميد زيدان، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطورين جستين الثاني وتيبريوس (٥٦٥-٥٨٢م)، ماجستير غير منشور، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٤م.

نقفور البطريرك ، التاريخ المختصر، ترجمة هانئ عبد الهادي البشير، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

وفاء عبد الحميد محمد، الإمبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢م)، ماجستير غير منشور، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٨م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com